عبد العزيز حمودة والهوية الواقية - دراسة نقدية لثلاثيته النقدية -

مبروكة افحيمة سليمان
عضو هيئة تدريس بكلية الآداب والتربية/جامعة التحدي سرت
قسم اللغة العربية

قدمت هذه الدراسة استكمالا لمتطلبات درجة الإجازة العالية "ماجستير" في مجال البحوث والدراسات الأدبية، وقامت بإعداده الباحثة مبروكة افحيمة سليمان، ولقد أوصت لجنة المناقشة بطباعة الأطروحة على نفقة جامعة التحدي/سرت وتداولها بين الجامعات لأهميتها العلمية، وكانت تحت إشراف الأستاذ الدكتور مصطفي محمد أبوشعالة جامعة التحدي وعضوية كل من الأستاذ الدكتور أحمد يوسف أبوحجر جامعة الفاتح، والأستاذ الدكتور محمد محمد الجطلاوي جامعة السابع من أكتوبر.

تمهيد :-

اختلفت صور النقد الأدبي العربي الحديث وتعددت، ولكنها جاءت في مجملها متأثرة بالنقد الغربي، فأصبح هذا النقد مجرد مستقبل لما ينجزه الغرب، فلم يكن له أي دور يذكر في إثراء هذا النقد، وقد اعتبرت عملية ممارسة النقد الأدبي بصورة عامة نشاطا فكريا دفع النقاد والباحثين للخوض فيه، والبحث عن مفهوم المصطلح النقدي العربي، الذي جاء كما يقول البعض مغتربا ومختلطا بالمصطلح النقدي الغربي لدرجة يستحيل معها الفصل بين المفهومين.

والحقيقة التي يصعب على أي منا إنكارها أن هذا النقد العربي صار مجرد تابع لما ينتجه الغرب، ونحن لايمكننا أن نلغي أو ننفي هذا التأثير، وإنما يجب أن تكون هناك مفاعلة واندماج ينثمر عن وجود وانتاج نشاط نقدي عربي، لامجرد مستهلكين لما ينتج.

النقد ونقد النقد من أهم المسائل التي طرحت ومازالت تطرح في العديد من المناقشات النقدية، ومن البديهي أن المثقف يكتب لينشر، وينشر ليؤثر على مواقف القراء، ولكن هذه البديهية أقل ما يقال عنها أنها غير دقيقة.

ومن أهم الجوانب التي يجب توافرها في النقد الموضوعية،

على أن يراعى في هذا النقد عدم سيطرة الهوى عليه، بل يجب أن ينبع هذا النقد من منهج معين، له أساليبه وآلياته وأدواته الخاصة التي تمكن الناقد من القراءة النقدية على أكمل وجه.

وقد قسم علماء الجمال الاتجاهات الفلسفية ـ في الأدب والفنون ـ إلى قسمين كبيرين يندرج أولهما تحت النزعة المثالية، والآخر يسمونه الاتجاه الواقعي، أو المادي، وهذا التقسيم فلسفي وليس أدبيا أي أن هذا التقسيم يتسم بالنزعة الفلسفية، و إن ترك آثاره في المذاهب الأدبية والنقدية الحديثة.

وكان من نتائج هذه الفلسفة المثالية في الأدب وجود مذهب الفن للفن، وامتدت آثار هذه الفلسفة المثالية إلى النقد أيضا حيث وجد في النقد المذهب التأثيري الذي مثلته مدرسة النقد الحديث الأمريكية ، من ثم لم يعد القارئ العارف/ الناقد عالة على النص الأدبي، وإنما غدا القارئ العارف مبدعا للنص، وآية ذلك النص الأدبي وطرائق تشكله وما يحتويه من رمز وغموض، لا يسلم نفسه بسهولة لأي قارئ.

وقد صارت عملية الحوار بين النص بثقافته ومرجعيته والقارئ المستند إلى مرجعية أو مرجعيات فكرية أخرى أهم ما يميز عمل الناقد التطبيقي أو الإجرائي.

ومن خلال ذلك فإنه لا يكفي أن يمتلك القارئ لغة شارحة، بل عليه أن يمتلك رؤية نقدية تمكنه من أن يكون صانعا آخر أو مبدعا ثانيا للنص، لأنه لا يكتفي بما يقوله النص على السطح ، بل لابد له من اختراق أعماقه، وكشف خباياه وجلب عناصره الغائبة منه وإحضار المسكوت عنه اجتماعيا وفنيا ، وهذا ما يسمى بالبحث فوق النص وما تحته، وما وراء النص وما بين يديه.

وبالتالي فإن دور الناقد التطبيقي هو دور تأصيلي إبداعي لا يقل عن دور المبدع نفسه، وهذا لا يتحقق إلا إذا امتلك هذا الناقد وعيا بمستوى المناهج النقدية الحديثة، ووعيا بمستوى

نظرية المعرفة، ووعيا ثالثا بمستوى الإنتاج الإبداعي وطرائقه وأنواعه وشروطه.

وعليه فإن عملية المعرفة بهذه المناهج النقدية لا تكفي، وإنما يجب عدم الخضوع لسلطتها لصالح سلطة القراءة والتأويل.

من هنا فإن وظيفة الناقد تكمن في فتح آفاق النص ومغاليقه وقراءته التي تتحول إلى عملية كشف للنص المرسوم على الورق، ومعرفة ما فوقه وما تحته وما وراءه، وهذا يتطلب من الناقد أن يبذل جهدا فكريا وعلميا، لكي يكون نقده موضوعيا وعلميا نابعا من روح نقدية هدفها الأساسي الكشف عن هذا النص الأدبي وفق رؤية علمية صادقة. وقد رأت يمنى العيد. أنه حينما ننظر إلى هذه المناهج النقدية الحديثة نراها قد تنوعت وتمايزت، ولكننا نراها أيضا بقيت على تنوعها، وفي معظمها تتقارب في رغبتها كما في محاولتها لتكون علمية ولتحقق بعلميتها معرفة ماهية النص الأدبي، وذلك من خلال كشف عناصره المكونة له، وبجعل عملية تبئين هذه العناصر عملية مرئية ومدركة معرفيا.

وقد استطاع النقد الأدبي بصفته البحثية على الرغم من بعض العوائق الأيديولوجية ـ أن يفيد من هذه الإنجازات، وينتج نظرياته في النقد البنيوي والنقد البنيوي التوليدي وفي السيميوتيك والسيمونتيك ...وأصبحت أسماء بعض الأعلام مثل غولدمان وبارت وكوهان وريفاتير وغيرهم أسماء تقدم أعمالها لتبلور منهجا أكثر تكاملا وقدرة على معرفة النص الأدبي وسر غناه وفي خصائصه ونظامه..

هذه المناهج حاولت دراسة النص الأدبي، كل منهج وفق رؤيته، فأحيانا تختص هذه الدراسة بلغة النص الأدبي، وأحيانا أخرى بدراسة أسلوبه وأحايين أخرى بإشاراته وعلاماته....وهكذا فكل منهج من هذه المناهج التي يمكن أن نسميها المناهج الغربية، قد درست النصوص الأدبية الغربية ومازالت تتطور حسب جهود الأدباء والنقاد الغربيين.

وقد حاول بعض النقاد والأدباء العرب تطبيق هذه المناهج النقدية الغربية على نصوصنا الأدبية العربية، معتبرين النص الأدبي نصا وكيانا مستقلا بذاته عن كل ما يحيط به، فليس هناك نص أدبي غربي ونص أدبي عربي، وإنما هو نص أدبيّ وحسب.

ومن ثم فالنقد يعمل على إلغاء النص بكامله حتى تستطيع الذات الناقدة عبر هذه العملية التدميرية أن تقف فوق أشلاء النص، شاهرة سيفها البتار الذي استطاع أن يفرم النص ويحوله إلى مسحوق من اللحم والدم والعظم.

وبالتالي يجب علينا الانتباه، والإقرار بأن النقد هو سلطة الحقيقة والجمال والخير، وأن استخدامنا لهذه السلطة ينبغي أن يتوجه لا لتقويم النص ـ مدحه أو شتمه ـ بل تفكيكه والنظر في بنيته بوصفه تركيبا لعمليات فكرية وجمالية صنعت وفق واقعها الخاص. والمشكلة كما يقول عبد الله خلف العساف في غالب نقدنا المعاصر أنه نقد مجامل أو محاب، لا يرتكز على أسس علمية موضوعية، يغلب عليه التنظير، والتعميم والأحكام المجانية، والعبارات الجاهزة. يمارسه القاصي والداني، من له علاقة بالنقد ومن ليست له علاقة به، يعلي إذا مدح، ويخسف إذا هجا، انطباعي في جوانب كثيرة منه، لا يزال أكثره رهن الأدوات القديمة، والمشكلة لا تكمن في أدعياء النقد فحسب، وإنما في غالب المتخصصين من النقاد.

وهو يرى أن نقدنا مجامل لأنه يعطي لمن لا يستحق ما لا يستحق، ويطلق عبارات جاهزة مكررة، إلى جانب أنه مغرم باكتشاف الألقاب، وهذا ليس جديدا على نقدنا العربي الحديث، فقد أطلق ألقابا عديدة على شعراء وأدباء مثل (أمير الشعراء) و(شاعر الفرات) (وعميد الأدب العربي) .... إلى غير ذلك من الألقاب التي ملأت كتب الأدب العربي.

ويمكننا القول إن هذا النقد المجامل يخدع المبدعين الذين في أول الطريق ويشعرهم بأنهم وصلوا إلى نهاية الإبداع.

وخلاصة القول في هذا الشأن تؤكد على أن نقدنا لا يرتكز على أسس علمية موضوعية، فهو لا يزال في الغالب نقدا انطباعيا مرتجلا لا يستفيد كثيرا من التطور في نظريات النقد والعلوم الإنسانية فالفكرة السائدة عن النقد مرتبطة بالحال الانطباعية التي يحدثها النص بالمتلقي. وبالتالي فإن فاعلية الناقد الحقيقي تتمثل في مواجهة النص الإبداعي ، وأدوات الناقد الحقيقي تتألق في ذلك ، ومن ثم فإن ظاهرة نقد النقد ليست دائما علامة صحية، فهي دليل على فراغ النقد واعتراف منه بالهزيمة.

ويرى عبد الله العساف أن من أهم العلامات التي تدل على نقدنا الهابط هو غياب الحوار بين المناهج النقدية ، فالنقد عندنا واقعي، أو بنيوي ، أو تفكيكي ، أو نفسي أو لساني، أو بلاغي ونقدنا كذلك يعاني عدم وضوح المصطلح النقدي، وعدم ممارسة النقاد له بدقة، إلى جانب أن هناك عدم اتفاق على دلالة مصطلحات كثيرة ، إلى جانب ذلك فإن هناك بعض النقاد مغرم بإثقال نصوصه النقدية بمصطلحات أجنبية وغربية معربة بعضها عرفي وأكثرها غير ذلك مما يؤدي إلى انغلاق النص على نفسه وإضعاف تأثيره في المبدع والمتلقي معا.

ويرى عبد العزيز حمودة أن ثنائية الانبهار بالعقل الغربي و منجزاته واحتقار العقل العربي ومنجزاته تقع في قلب الشرخ الثقافي الذي يعيشه الإنسان العربي بدرجات لا تتفاوت كثيرا من جماعة عربية إلى جماعة عربية أخرى .وبدلا من منطقة وسط يأخذ فيها المثقف العربي ما يتناسب مع ثقافته العربية وتراثه الطويل نجد الغالبية تعيش الثنائية بكل تناقضاتها.

ويمكنني أن أوافق حمودة في قوله:" إن هناك قلة من المثقفين العرب لم يفقدهم إنجاز العقل الغربي قدرتهم على الاحتفاظ بتوازن صحي بين طرفي الثنائية من منطلق إدراكهم أن إنجازات العقل الغربي ليست خيرا كلها ، وان إنجازات العقل العربي ليست شرا كلها ، وأدركوا أيضا عكس ذلك.

فليست إنجازات العقل الغربي شرا كلها وليست إنجازات

العقل العربي خيرا كلها.

فالحقيقة التي يجب أن نؤمن بها جميعا هي أن ثمة فرقا كبيرا بين الثقافتين العربية والغربية، فكل ثقافة من هذه الثقافات لها أسسها ومعاييرها الخاصة بها التي تنبثق من أفراد مجتمعها ، وما تميز به الأفراد في مجتمعهم الخاص بهم.

ومن خلال ذلك فثقافة كل مجتمع عربيا كان أو غربيا تتأثر بشكل كبير بمنجزات(العقل)، حيث إن العقل هو الذي يفرز هذه الثقافة، وفق ما يحتويه وما يتحكم فيه من متغيرات بيئية اجتماعية واقتصادية وسياسية ودينية.

إن الحديث عن الثقافة وأهميتها أمر فيه جدال وخلاف وآراء متعددة، ولعل ذلك يرجع إلى وجهات النظر واختلاف الرؤية أو المنظور الذي ينظر من خلاله الباحثون والدارسون لقضية الثقافة.

ومفهوم الثقافة يعتبر جديدا نسبيا ترجع بداياته إلى القرن التاسع عشر ، وعليه فقد تعددت تعريفات الثقافة لدى الدارسين والباحثين، ولعل من بين أهم هذه التعريفات هو تعريف (ادوارد تايلور)الذي نصه:

- الثقافة هي الكل المركب الذي يشمل القيم والعادات والتقاليد وطرائق التفكير ،وأسلوب الحياة التي تسود مجتمعا من المجتمعات الإنسانية.-

من هذا التعريف يتضح أن الثقافة هي نمط الحياة التي يعيشها الإنسان، فكل ما يصدر عن الإنسان من سلوك فهو ثقافة، لذلك أصبحت الثقافة تمثل عنصرا أساسيا في جميع التحولات والتطورات التي تمر بها المجتمعات في العصر الحديث. ويرى البعض أن هناك مشكلة كبيرة تكمن في بنية هذه الثقافة والعقل الذي ينتجها، ترجع إلى طبيعة العلاقة المؤسسة لموقعه في عملية المعرفة والثقافة المنتجة، فأساليب التلفيق بالنقل والاقتباس والتوفيق بالتسوية والمماثلة والنقل والحذف والتجاوز تجعله بلا هوية.

من هذا يتضح أن الثقافة بمعناها الأوسع ذات عمومية

تفوق العقل ببنياته والفكر بشموليته؛ وذلك لأن الثقافة تشمل جميع أنماط الحياة التي يعيشها الإنسان.

وكوننا في إطار الحديث عن العقل وتقسيمه إلى عقل عربي وعقل غربي، فإنه يمكننا القول إن العقل الإنساني واحد، وإن القضية ليست قضية انبهار بقدر ماهي محاولة استقاء المعرفة والعلوم والنظريات والمناهج...، لتكون الشخصية الناقدة عربية أو غربية أو شرقية فهذه النظريات والمناهج هي نظريات حول الإنسان أيا كان وفي أي مجتمع.

حقيقة ركون الإنسان العربي وعدم تفعيل بنية عقله للإسهام في التطور مع سائر النظريات والمناهج العلمية جعل منه منفعلا وليس فاعلا وسط هذه المتغيرات ، وذلك يرجع إلى انقطاع امتد من تفكك الدولة العباسية وحتى بداية عصر النهضة العربية ، وهذا منعنا من تعاطي العلم والمعرفة بدليل أننا مازلنا أسري عصر التدوين الأول.

لو استطعنا تحديد كل هذه الأسباب والوقوف عندها بالتأكيد لوصلنا إلى نتيجة نستطيع بها أن نتعامل بكل ثقة وجدية ونوظف قدراتنا العقلية بذلا وعطاء، ومن هنا يكون دور المواطن العربي فاعلا وليس منفعلا.

وعند حديثنا عن الثقافة العربية والثقافة الغربية، أو عند حديثنا عن العقل العربي والعقل الغربي، نجد أنفسنا نتحدث عن الهوية العربية التي تكاد تضيع وسط هذه المتغيرات الثقافية التي تحاول طمس هويتنا ومعالمها، حيث إن الثقافة - إلى حد ما - تعتبر من الأسس الرئيسة التي تحدد هوية الشعوب، وذلك لأن أغلب المحددات الأخرى من دين وعرق ووطن قابلة للتغيير، أما ثقافة الشعوب فهي المحدد الرئيسي الذي لا يمكن تغييره بسهولة، ولكن في الوقت ذاته قابلة للتأثر بالثقافات الأخرى الغريبة عنها.

ويمكن أن نوضح أن هناك ارتباطا وعلاقة واضحتين بين الثقافة والهوية ، فالثقافة تعطي المجموعة هويتها وتميزها عن المجموعات الأخرى، وتعبر عنها ، وبهذا تعد الثقافة أحد

المحددات التي يرتكز عليها مفهوم الهوية والتي يمكن التعبير عنها أو تجسيدها من خلال الدين أو اللغة أو الدولة الوطنية، وهذه بطبيعة الحال خصائص متغيرة ، حيث يمكن لمجتمع واحد أن يبدل هويته حسب المراحل المختلفة تاريخيا وفقا للظروف الحاكمة.

كانت هذه أهم المحاور التي تناولها عبد العزيز حمودة في ثلاثيته النقدية (المرايا المحدبة / المرايا المقعرة / الخروج من التيه) والتي تناولتها هذه الدراسة بشيء من النقد والتحليل.

خمول النقد العربي أحد الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع والخوض فيه، وهذا ما تناوله عبدالعزيز حمودة في ثلاثيته النقدية ، هذه الثلاثية التي أثارت جدلا كبيرا في الأوساط النقدية لما فتحته من أبواب يمكننا القول بأنها كانت منسية، حيث مثل موضوع عودة حمودة إلى وجود بديل عربي يتمثل في وجود نظرية لغوية ونظرية نقدية تستقي مصطلحاتها الأساسية من خلال إعادة قراءة التراث العربي القديم قراءة جادة ، وذلك لما يحتويه هذا التراث النقدي من مبادئ وأسس تضاهي النظريات النقدية الحديثة في الغرب.

ولكون إثارة حمودة لهذا الموضوع جاءت في فترة قريبة ، فإن من أهم الدراسات التي صاحبت هذه الدعوة هي دعوة الدكتور مصطفى ناصف في كتابه (النقد العربي نحو نظرية ثانية(2000)حيث تناول هذا الكتاب الأسس نفسها التي دعا إليها الدكتور حمودة ، واعتبر أن أزمة النقد العربي تتمثل في المصطلح النقدي ، وهذا لايكمن تحديده إلا من خلال إعادة قراءة التراث.

وقد اتهم البعض حمودة في دعوته للقطيعة مع الغرب أنها إجحاف وسيطرة على الأدب، على اعتبار أن الأدب إنساني، حيث لافرق بين أدب عربي وأدب غربي ، واعتبروا دعوته هذه انكفاء على الذات.

أما فيما يخص المنهج المتبع في هذه الدراسة فهو يتمثل في منهج نقد النقد ، حيث حاول عبدالعزيز حمودة نقد المناهج

المعاصرة التي هيمنت وسيطرت على أدبنا العربي من خلال طرحه لنظرية نقدية عربية لها سماتها وخصائصها الخاصة بها ، والتي حاول استنتاجها من دراسته للتراث النقدي العربي في عصور ازدهاره، وذلك من عملية غربلته للمناهج النقدية المعاصرة التي سلبت النص الأدبي هويته من خلال قراءتها الشكلية له ، حيث أكد سلطة النص الأدبي في حد ذاته ، من خلال قراءته الجديدة له.

وقد كانت الخطة المتبعة في هذه الدراسة متمثلة في الآتي:

حيث تبدأ هذه الرسالة بتمهيد يدور حول النقد وقضية الهوية، يتم فيه تناول هذه القضايا التي تناولها حمودة في ثلاثيته النقدية بشيء من التفصيل، والتي منها قضية العقل العربي والعقل الغربي وقضية الهوية.

وتتضمن الرسالة بعد التمهيد ثلاثة فصول كل فصل يحتوى على ثلاثة مباحث:

الفصل الأول : مساءلة المناهج النقدية المعاصرة.

- المبحث الأول: المناهج النقدية وهوية النص الأدبي.

يتناول هذا المبحث المناهج النقدية وهي على قسمين : المناهج ذات الإحالة الخارجية (منظومة المناهج التاريخية) وهي المنهج التاريخي والمنهج الاجتماعي والمنهج النفسي (الانثروبولوجى).

والمناهج ذات الإحالة الداخلية (منظومة مناهج البنيوية وما بعدها).

وهي المنهج البنيوي والمنهج الأسلوبي والمنهج السيميولوجي والمنهج التفكيكي.

- المبحث الثاني: النقد المعاصر عند العرب بين النظرية والتطبيق.

ويقتصر هذا المبحث على منهجين نقديين هما المنهج البنيوي والمنهج التفكيكي وذلك

لأن هاذين المنهجين من أهم المناهج التي تعرض الدكتور حمودة لمناقشتهما في مراياه المحدبة وتناولهما بالدراسة والعرض والتحليل.

- المبحث الثالث: المرايا المحدبة وقراءة المناهج النقدية المعاصرة.

هذا المبحث يتناول قراءة حمودة للمناهج النقدية المعاصرة التي اقتصر فيها على المنهجين البنيوي والتفكيكي، على اعتبار أنهما من أكثر المناهج النقدية التي سيطرت على النقد العربي ،حيث طرحت وجهة نظر حمودة حول المنهجين من خلال طرحه للأسباب التي أسهمت في فشل هاذين المشروعين.

الفصل الثاني: المناهج النقدية التراثية في النقد العربي .

- المبحث الأول: النظرية اللغوية العربية.

يحتوى هذا المبحث على أهم الأركان التي حددها حمودة للنظرية اللغوية والتي استقاها من خلال عودته لقراءة التراث العربي.

- المبحث الثاني: النظرية الأدبية التراثية.

بنفس الكيفية التي تناولها حمودة في النظرية اللغوية من خلال تحديده لأركانها ، تحاول هذه الدراسة كذلك طرح أهم أركان النظرية الأدبية التراثية ، التي أيضا حاول تحديدها من خلال إعادة قراءته للتراث.

- المبحث الثالث: المرايا المقعرة والهوية العربية.

يتناول هذا المبحث مفهوم الهوية بصورة

عامة، والهوية كما طرحها حمودة في مراياه المقعرة.

الفصل الثالث:سلطة النص والهوية الواقية.

- المبحث الأول: المثاقفة حول النص.

وذلك من خلال طرح مجموعة من المذاهب والمدارس النقدية التي حاولت فهم وتحليل معنى النص الأدبي، وذلك من خلال طرحي أولا لأهم التعريفات التي تناولت مفهوم النص الأدبي، ثم ذكر أهم المذاهب النقدية التي من شأنها خدمة النص الأدبي.

- المبحث الثاني: حول قراءة النص.

يتناول هذا المبحث ثلاثة عناصر أساسية هي عملية القراءة ، والقارئ، والنص المقروء، وما مدى تحديد مفهوم كل عنصر وأثره في تحديد مفهوم النص الأدبي؟

- المبحث الثالث: الخروج من التيه وسلطة النص.

هذا المبحث يتعرض إلى مفهوم سلطة النص ووجهة نظر حمودة في هذه السلطة ، على اعتبار أن الهوية الواقية لايمكن تحقيقها إلا من خلال العودة إلى النص وتأكيد سلطته.

وأخيرا تنتهي هذه الرسالة بخاتمة تتضمن أهم النتائج و المقترحات والتوصيات التي تتوصل إليها هذه الدراسة.

وعليه فإن عملية مدارسة النقد الأدبي وتحديد أهم مناهجه تعتبر من أهم المرتكزات التي تسهم في فهم النص الأدبي، وتحديد ماهيته، وقد تعددت المناهج النقدية واختلفت وتباينت كلا حسب وجهة نظر منظريها.

فنجد أن بعض هذه المناهج ركزت على مؤلف النص الأدبي، والظروف التي رافقته أثناء إنتاجه للنص الأدبي.

أمّا النوع الآخر من هذه المناهج فقد ركز على النص الأدبي في ذاته، ورفعت شعار موت المؤلف ففرضت عزلة على هذا النص، واعتمدت على البنية الداخلية له.

في حين نجد أن هناك بعض المناهج قد ركزت على القارئ، ومنحته السلطة العليا في تحديد مفهوم هذا النص ، لدرجة معها يصبح قارئ النص هو المنتج الفعلي له وذلك على حسب قراءة كل قارئ ووفق مخزونه الثقافي الذي يمتلكه.

بمعنى آخر فإن هذه المناهج قد تعددت لدرجة يصعب معها وجود منهج نقدي واحد يمكن أن يستوعب قيم العمل الأدبي كلها.

ووجود هذا المنهج يتطلب وجود ناقد يتحلى بسلامة الذوق ودقة وجمال الأداء ، كما يجب عليه أن يبتعد عن النزعة الأنانية التي سيطرت على بعض النقاد، حيث يتحكم الهوى الذاتي على الحكم الذي يطلقونه على النص الأدبي.

وقد اعتمد عبد العزيز حمودة في سلسلته النقدية هذه والمتمثلة في (المرايا المحدبة والمرايا المقعرة والخروج من التيه). على كيفية إنتاج بديل نقدي عربي يستوعب النص الأدبي ، ويساعد في فهمه. وذلك لما لاحظه من اعتماد للنقاد العرب في تطبيق المناهج الغربية على الأدب العربي.

وقد تركز مشروع عبد العزيز حمودة النقدي على مجموعة من الأهداف التي حاول تأكيدها والدعوة إليها وهذه الأهداف تتمثل فيما يأتي :

أولا: دعا حمودة في كتابه الأول إلى مقاطعة الحداثة الغربية، المتمثلة في المناهج النقدية الغربية التي قام بدراستها وتحديد أهم الأسباب التي ساهمت في فشلها، حيث اعتمد في دراسته هذه على دراسة المشروعين البنيوي والتفكيكي من خلال إسهابه في الحديث عنهما، وكذلك ذكر أهم الأسباب التي أدت إلى فشل هذين المشروعين في بلاد المنشأ أي الغرب ، وذلك لعدم قدرتهما على توضيح مفهوم ومعنى محدد يساعد على فهم النص

الأدبي.

ثانيا: دعا حمودة في كتابه الثاني (المرايا المقعرة) إلى إعادة قراءة التراث البلاغي العربي كرد فعل للنقد الموجه إليه ، وذلك لإنتاج بديل نقدي عربي ، وانتاج نظرية لغوية ونظرية نقدية عربيتين، تستقي منطلقاتها الأساسية من خلال إعادة قراءة التراث ،وذلك لما يحويه هذا التراث من منجزات بلاغية و نقدية ، وقد قام بتحديد أركان هاتين النظريتين داعيا إلى تكاتف جهود النقاد وتوحدها للمساهمة في هذا المشروع.

ثالثا : دعا عبد العزيز حمودة كذلك إلى الهوية الواقية حيث يرى أنها لاتتحقق إلا عن طريق تطوير نظرية لغوية وأدبية عربية ، حيث اعتمد في دراسته هذه على أن مفهوم الهوية الواقية مرتبط بالدرجة الأولى بالجانب الثقافي ، وكأن الهوية التي تقينا نحن العرب تتمثل في التمسك بثقافتنا العربية والابتعاد عن كل ما هو دخيل علينا وعلى ثقافتنا.

رابعا: رفض حمودة الصريح لثنائية الانبهار بكل إنجازات العقل الغربي ،واحتقار كل إنجازات العقل العربي ، وهو بذلك يقسم العقل البشري إلى عقل غربي وعقل عربي واعتمد في ذلك على ثقافة كل عقل باعتبارها هي المحدد الرئيسي للعقل.

خامسا: حذر حمودة في كتابه الأخير (الخروج من التيه) من التيه النقدي ، الذي عبر عنه بحالة الضياع الكامل الذي يعيشه العربي داخل المناهج النقدية المتداخلة والمتعارضة والمتشابكة ، والذي ضاع داخله المثقف العربي ، وبالتالي ضاعت معه سلطة النص الأدبي.

سادسا : الدعوة إلى العودة إلى النص ، وتأكيد سلطته هي محاولة حمودة للمساهمة في تحديد معالم نظرية نقدية عربية بديلة ، وهذا بدوره يسهم في عملية الخروج من التيه النقدي.

سابعا : سلطة النص التي دعا إليها حمودة تتمثل في قدرة النص الأدبي على تحقيق معنى ما، يتمتع بقدر من الالتزام ويقبل التثبيت ، ولو بشكل مؤقت في مواجهة فوضى القراءات التفسيرية للنص الأدبي التي انتهت عند اتباع نظرية التلقي والتفكيك إلى إلغاء سلطة النص ، بل إلى التشكيك في وجوده أصلا.

كانت هذه أهم المرتكزات التي اعتمد عليها حمودة في سلسلته النقدية ، ومن خلال دراستي العميقة لها يمكننا القول إنها فتحت مجموعة من القضايا التي يجب أن يقف عندها النقاد والأدباء بكل جدية.

ومن خلال هذه القراءة البسيطة يمكن أن نصل إلى مجموعة من التوصيات والنتائج تتمثل فيما يأتي:

أولا: إن دعوة عبد العزيز حمودة إلى مقاطعة الفكر الغربي، ومحاربته محاربة مطلقة شئ مستحيل لأن الثقافات والمعارف تتداخل ، تفيد وتستفيد من بعضها ، وعليه فإن هذه الدعوة تؤدي إلى القوقعة داخل الذات، فينشأ الأدب العربي ضعيفا منعزلا عن التطور الثقافي الذي يحدث في العالم.

ثانيا: دعوة النقاد إلى قراءة التراث قراءة جادة وعميقة ، مع قراءة الأدب الآخر هذا من شأنه خدمة الأدب والمساهمة في رقيه وفهمه بشكل أكبر من لو تمت عملية عزله عن الآخر الثقافي ، لأن عملية المثاقفة من شأنها إثراء الأدب العربي، فالمناهج النقدية المعاصرة ما وجدت إلا لفهم النص الأدبي ، بغض النظر عن كونه نصا عربيا أم غربيا، وعليه تتم عملية الربط بين القديم والحديث ، وهذا بدوره يخدم أدبنا العربي.

ثالثا: الدعوة إلى النص ، هي الفيصل النهائي التي يمكن من خلالها فهم ما يرنو إليه هذا النص، وذلك من خلال ربط هذا النص بالمؤثرات الخارجية

والداخلية التي أسهمت في تكوينه، حيث يمكن فهم هذا النص من خلال قراءته داخليا وخارجيا في آن واحد ، لأن كلا من المؤلف والقارئ مقومات تسهم في تكوين النص الأدبي ومن ثم فهمه.

كانت هذه أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال قراءتي لثلاثية عبد العزيز حمودة والتي أتمنى أن أكون قد وفقت في توضيحها بالشكل الذي يثريها، ولا يقلل من قيمتها.

ولعل من بين المتاعب والمصاعب التي واجهتني في هذه الرسالة قلة المصادر والمراجع التي تخدم هذه الدراسة، لأن هذا الموضوع من الموضوعات الجديدة على الساحة النقدية، باستثناء بعض المقالات التي تمكنت من الحصول عليها من خلال تعاملي مع شبكة المعلومات الدولية(الانترنت).

هذا بايجاز أهم ما تضمنته هذه الدراسة والتي أتمنى أن يكون لها أثر في إثراء النقد الأدبي العربي الحديث.